

# الفصل الأول

## كشف القرآن عن الغيب

### منظور تاريخي

هناك مدى واسع لا حدود له من "الغيب" يحيط بجميع المعارف الإنسانية. وما يعلمه الإنسان عن ماضيه وحاضره ومستقبله، لا يتعدى أن يكون ومضة من الضوء تماثل إحدى تلك الومضات الضوئية التي تنبعث من ذيل يراعة تسبح في محيط واسع من الظلمة الخالكة. ورغم أن الإنسان قد مد آفاق معارفه إلى حدود الكون بمساعدة الفيزياء الفلكية والرياضيات العالية، إلا أن الحقائق التي بدأت تصله من حدود الكون كانت من خلال إشارات ضوئية انبعثت منذ ما يقرب من ١٨ إلى ٢٠ ملياراً من السنين الضوئية. أما ماذا حدث هناك خلال هذه المدة، وما عساه يحدث هناك الآن، فهو أمر يخضع لمجرد التخمين.

ولندع الماضي والمستقبل جانبا.. فحتى معرفة الحاضر تقع في الغالب وراء نطاق المدارك الإنسانية. فما الذي يعرفه الإنسان عن الأمور التي تحدث بعيدا عن بيته، وعن الشارع الذي يسكن فيه، والمدينة التي يعيش فيها؟ إن كل وسائل الإعلام مجتمعة، لا يمكن أن تنقل إليه حتى جزءا من مليار جزء من الأمور التي تحدث في العالم من حوله. ولكن ليس هذا هو كل ما في الأمر. فماذا يعرف الإنسان عن الناس ممن يبدو أنه يعرفهم من بين أصدقائه وأقرب أقربائه؟ إن النفاذ إلى ما وراء المظهر الخارجي للإنسان لمحاولة قراءة ما هو خلف المظهر، إنما هو أصعب من النظر إلى سطح بركة مياه طينية ومحاولة رؤية ما تخفيه المياه تحت السطح. ففي كلتا الحالتين لا يرى الإنسان سوى الصور التي تنعكس على السطح فقط، مع

الأخذ في الاعتبار أن البرك لا تستطيع أن تُمثل، ولا أن تتظاهر، ولا أن تتكلف، ولا تتعمد افتعال مظهر معين يخالف الحقيقة. واعتمادا على حالة الطقس، في أيام الشتاء التي قد تتجمد فيها المياه، أو في بقية أيام السنة، تبدو البركة دائما بنفس المظهر؛ أما الإنسان فليس كذلك. إن تعقيدات النفس الإنسانية، وتقلبات الأمزجة والسلوكيات البشرية، وتباين المبادئ الأخلاقية والفلسفات الخاصة بكل فرد، واختلاف القدرات وتنوع استعدادات كل من القلب والرأس، وعمق أو ضحالة السلوك.. هي بعض المتغيرات التي لا حصر لها، والتي لا تشترك فيها البرك. وحتى ما يجري داخل نفس الإنسان ذاته.. يظل أحيانا كثيرة أبعد من قدرة الإنسان نفسه على إدراكه وفهمه. ومع ذلك.. فإن الكثير من الناس لم يتعلموا دروس التواضع بعد، ونادرا ما يُدركوا أن المصدر الأعلى لكل حق مطلق، وينبوع كل معرفة كاملة، لا يمكن أن يكون سوى الخالق عَلَمٌ. فهو وحده الذي يحيط بجميع أسرار خلقه، وهو وحده العليم البصير، وهو.. دون سواه.. الكبير العظيم.

إن المعرفة هي أهم اللوازم الضرورية التي ينبغي توفرها من أجل الخلق، سواء كانت المعرفة ربانية أو معرفة بشرية، وسواء كان المخلوق كبيرا أو صغيرا. فبغير المعرفة الكاملة العميقة بكل ما يُراد خلقه، لا يمكن أن يتحقق الهدف من الخلق. ولذلك فإن الخالق وحده فقط، ولا أحد سواه، هو الذي يعرف جميع دقائق وخفايا وتعقيدات ما يخلق. ومن هنا كان العلم الذي يشمل ويحيط بكل شيء هو ما يختص به الله تعالى وحده، فالمعرفة الكاملة الشاملة بكل موجود هي من اختصاص الله وحده العليم بكل شيء، ولا يشاركه فيه أحد سواه.

فإذا كان نفس ذلك الإله العليم بكل شيء، والموجود في كل مكان وفي كل آن، هو الذي أنزل القرآن من لدنه، فلا بد للوحي القرآني الذي يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل أن يتأيد بالحقائق الصحيحة الثابتة حين

يُلقى عليه ضوء البحث والتمحيص، وهذا بالضبط ما سوف نتناوله في السطور التالية. ويجدوننا الأمل الكبير أن نتمكن من فعل ذلك مستعينين بالحقائق المقررة، التي لا جدال فيها ولا نزاع عليها.

لقد ناقشنا فيما سبق بشيء من التفصيل دور الوحي القرآني في إبراز بعض حوادث الخلق التي تمت في الماضي السحيق، منذ بداية الزمن.. حين انفجر الكون على حين فجأة من ثقب أسود. وحسبما يقول به القرآن الكريم.. انفتق الكون بأمر من الخالق القدير، ثم تنتهي تغطية الوحي القرآني بانتهاء الزمن، حين ينسحق الكون مرة أخرى في ثقب أسود آخر.

أما فيما يتعلق بمنشأ الحياة.. فإننا نرى كذلك أن الوحي القرآني جامع شامل، ودقيق بشكل يثير الدهشة والعجب، فهو يغطي جميع مراحل التطور الهامة.. العضوية والحيوية.. على مدى ٤,٥ مليار عام من تاريخ هذا التطور.. إلى أن بلغ التطور ذروته بخلق الإنسان. ومنذ ذلك الوقت وما تلاه، ذكر القرآن الكريم تاريخ الإنسان فيما يتعلق بتطور المجتمع والدين والحضارة. وذكر أيضا إمكانية انقراض الجنس البشري، الذي قد يُستبدل بشكل آخر من أشكال الحياة.. يكون أعلى وأكثر تطورا.

إن كل ما أشرنا إليه هنا قد سبق أن ذكرناه بالتفصيل في فصول هذا الكتاب، وقد أوضحنا كيف أن الوحي الإلهي يمكن أن ينقل بكفاءة كاملة أمورا من عالم الغيب المجهول إلى نطاق المعلوم. وسوف نُبين في هذا الفصل كيف أن القرآن المجيد قد كشف بعض الوقائع الهامة في التاريخ بعد أن كانت دفينه بين طيات الماضي الذي يكتنفه الغموض. وسوف نُبين أيضا كيف أنه كشف كذلك العديد من أحداث المستقبل التي لم يكن لأحد حول ولا استطاعة لمعرفة في الزمن الذي نزل فيه القرآن. وسوف نُوضح على وجه الخصوص كيف أن القرآن المجيد قد تنبأ بكل دقة بالمنجزات العلمية الكبرى التي سوف ينجح الإنسان في تحقيقها،

والتي كان من المقدر لها أن تغير أسلوب حياته تغييرا كاملا. ونبدأ هنا بسرد واقعة تاريخية هامة، لها أهمية دينية مشتركة لدى كل من اليهود والنصارى والمسلمين. وهي تتعلق بخروج موسى عليه السلام من مصر، وما حدث لجيش فرعون الذي خرج في إثر موسى عليه السلام بعد أن عبر هو وقومه منطقة دلتا النيل.

هناك الكثير من الأمثلة الأخرى في التاريخ اليهودي والمسيحي عن نفس الفترة الزمنية، وقد ذكرها العهد القديم والعهد الجديد من الكتاب المقدس، كما ذكرها أيضا القرآن المجيد. غير أننا اخترنا بالذات واقعة الخروج لهذا البحث الحالي، لأنها تُوضح بجلاء طبيعة الوحي الإلهي كما جاء في القرآن المجيد.

إن سرد الكتاب المقدس يبدو بالمقارنة أنه ضحل وسطحي، رغم أنه يقص الكثير من حوادث التاريخ عبر الكثير من القرون. فمن وجهة نظر أحد الأتباع من معسكر موسى عليه السلام، يكون أقصى ما يمكن أن يلاحظه ويسجله عن توالي الأحداث هو غرق فرعون وجنوده، وقد غمرتهم أمواج كالجبال ابتلعتهم بين طياتها. أما ماذا حدث لفرعون نفسه قبل أن يغرق؟ وما الذي وقع بين الله تعالى وفرعون أثناء لحظاته الأخيرة قبل الغرق؟ وما هو ذلك الذي طلبه فرعون من رب موسى، إن كان قد طلب شيئا، في اللحظات التي واجه فيها الموت؟ فهذه كلها أمور تقع كلية خارج نطاق ملاحظة أي إنسان ينظر إلى ما يحدث وهو يقف على الشاطئ. وعلى هذا.. فإن كل ما يذكره الكتاب المقدس عن فرعون وجنوده هو أنهم قد غرقوا جميعا بغير استثناء، إذ يقول:

"فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر، لم يبق منهم ولا واحد. وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم".<sup>١</sup>  
ومن الواضح.. حسب هذه العبارة من الكتاب المقدس.. أن البحر

قد ابتلع جميع الأجساد، ولم يُستثن فرعون من ذلك، فكان الهلاك شاملا. وفي المقابل من هذا.. وردت العبارة التالية في القرآن الكريم تصف نفس الحدث الذي ذكره الكتاب المقدس، ولكن الفرق واضح بين العبارتين:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ  
بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ آيَاتِنَا  
وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٢﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ  
بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ  
آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (١٠ يونس: ٩١-٩٣)

وينبغي أن نلاحظ هنا أنه على عكس هذه العبارة القرآنية.. نجد أن عبارة الكتاب المقدس لا تشير من قريب أو بعيد إلى أي احتمال لاستعادة جسد فرعون، إذ تقول: "... لم يبق منهم ولا واحد" وعلى هذا، وإلى أن جاء الزمن الذي ذكر فيه القرآن نجاة جسد فرعون ليكون آية لمن يأتي خلفه من الأجيال البشرية، لم يشر إلى هذه الحقيقة أي مصدر تاريخي بشري.

وحيثما أنزل القرآن.. كانت قبور الفراعنة المصريين ترقد في أعماق الأرض تحت طبقة من بعد طبقة من رمال الصحراء. وكان الناس في ذلك الزمن يعرفون قليلا عن علوم تحنيط المومياوات، وبالتأكيد كان العرب أبعد ما يكونون عن معرفة هذه الأمور. لم تكن هناك كتب ولا روايات منقولة، سواء كانت دينية أو غير ذلك، قد ذكرت شيئا على الإطلاق عن نجاة فرعون بجسده، ناهيك عن ذكر ما تلا ذلك من عمليات تحنيط جسده وحفظه لأجيال وقرون طويلة. إن هذا السرد القرآني فريد أيضا في أنه لا يكشف فقط مجرد بعض الأحداث التي وقعت في الماضي، والتي

٥٩١ كشف القرآن عن الغيب.. منظور تاريخي

لم تكن معروفة للعالم في ذلك الوقت، وإنما هو يتنبأ أيضا بأن المستقبل سوف يشهد على صحة وحقيقة البيان القرآني. لقد كان تصور إمكان استعادة جسد فرعون بعد غرقه في الظروف التي ذكرها الكتاب المقدس.. أمرا لا يقبله العقل، ومثل هذا الجسد.. حتى ولو أمكن استعادته.. فإنه سوف يُشكل مشكلة ليست هينة من أجل تخنيطه وحفظه كمومياء.

ورغم كل ذلك.. فإن هذا هو ما يذكره القرآن المجيد. فما كان أحد ليجرؤ على التقول بعبارة مثل هذه العبارة القرآنية مخالفا بذلك جميع الدلائل التاريخية المعروفة في زمن نزول القرآن المجيد. وكل ما كان الناس يعرفونه عن فرعون هو أنه قد غرق، وأن جسده قد فقد في أعماق البحر إلى الأبد. وحتى لصوص المقابر لم يكن لديهم أدنى معرفة بأي من الملوك الفراعنة قد تم دفنهم في المقابر التي نطلق عليها اليوم اسم وادي الملوك. فما الذي دفع الرسول ﷺ لأن يأتي بعبارة فريدة كهذه إن كان هو مؤلف هذا القرآن؟ إن مثل هذه العبارة لم تكن لتخدم أي غرض على الإطلاق، بل من الممكن أن يكون لها أثر معاكس، فلو تحداه أحد.. لما استطاع النبي ﷺ أن يُقدم أي دليل على صدق العبارة التي أتى بها. إن هذه العبارة لم تكن لتخدم أي غرض سوى أن تجعل مصداقية القرآن الكريم محلا للشك. ولكن.. لقد كان من المقدر أن تخرج الأرض أثقالها وتلفظ أسرارها بعد مرور العديد من القرون من نزول وحي القرآن، وأمكن بعد ذلك الكشف عن موميאות جميع الملوك الفراعنة الذين كانوا فراعنة مصر في زمن موسى ﷺ.

وسواء كان فرعون مصر في ذلك الزمن هو رعمسيس الثاني أو فرعون آخر، فهو أمر لا يزال محل جدل واختلاف، ولكن لا يختلف أحد على أن إحدى الموميאות التي استُخرجت من وادي الملوك هي مومياء فرعون الذي تصدى لموسى ﷺ. وعلى هذا يكون الحكم الوحيد الذي يمكن أن يقرره المرء هو أنه على عكس حكم التاريخ الذي كان سائدا في العالم بأجمعه آنذاك، فإن حكم الوحي القرآني وحده هو الذي ثبتت

صحته: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَدَنِكَ﴾. هذا هو حكم القرآن الذي صار اليوم هو حكم التاريخ أيضا في العالم.

ويمكن أن يعني هذا الخطاب الذي وجهه المولى ﷺ إلى فرعون.. أنه قد مضى الوقت الذي كان من الممكن فيه إنقاذ حياته، وعلى ذلك فإن جسده الميت هو فقط الذي سوف يتم إنقاذه. ومن الممكن أن يكون المعنى الآخر المحتمل لهذه العبارة هو أن الوقت قد مضى لقبول الإيمان الذي أبداه، وعلى هذا فلن يكون هذا الإيمان سببا في نجاة روحه من العذاب، ولكن من الممكن أن يتم إنقاذ جسده فقط من الموت ليعيش بعد ذلك حياة وهو أشبه بالأموات، مما يُعبر عنه اليوم بالموت السريري. ونحن نرى أن المعنى الثاني هو المقصود بالعبارة القرآنية، ولتأييد وجهة النظر هذه نذكر الأسلوب القرآني الذي يقص وقائع هذه الأحداث، وعلى وجه الخصوص التعبير الذي يقول: ﴿نُنَجِّيكَ بَدَنِكَ﴾.

وهنا يبدو فرعون حريصا على بقائه حيا، وليس على مجرد استعادة جثته، فإن لم يتم إنقاذ حياته الروحانية ولا حياته المادية، فما هو معنى هذا الوعد الذي تلقاه فرعون؟ إذ من الواضح أن فرعون لم يدع الله لإنقاذ جسده الميت.

وإذا كان دعاؤه قد استجيب.. ولو جزئيا.. كما يتضح ذلك من القرآن المجيد، فلا معنى لأن يُقضى عليه بالموت روحانيا وأيضا بالموت ماديا، فهذا معناه الرفض التام لكل ما كان يدعو الله من أجله. إن إقراره بالإيمان بالإله الذي آمنت به بنو إسرائيل قد تم خشية أن يفقد حياته، ولذلك رفض الله تعالى قبول هذا الإيمان الذي لا قيمة له. وكل ما وعده الله به هو إنقاذ حياته الجسدية، وليس إنقاذ حياته الروحانية. غير أن معظم المفسرين يصرون على أن نجاة بدنه إنما يعني فقط استعادة جثته من البحر.

وهم يرون أن هذا أيضا في حد ذاته ليس بمعجزة بسيطة، تحت الظروف التي جاء وصفها في كل من الكتاب المقدس وفي القرآن المجيد.

فحتى الوعد بنجاة جثته يُعتبر نعمة عظيمة على فرعون الغريق.  
فهم يقولون إن الفراعنة كانوا شديدي التكبر والشموخ، ولا بد أن  
مجرد الوعد بإنقاذ جثته قد أضفى عليه بعض الرضا في لحظات احتضاره.  
ولكن غرض الله تعالى لم يكن مجرد إشباع رغبته، وإنما كان الغرض  
الحقيقي هو تزويد الأجيال القادمة بآية عظيمة ذات أوجه عديدة، يمكن  
أن تستفيد منها تلك الأجيال.

ومهما يكن من نتائج تتمخض عنها هذه القضية.. سواء تبين أن  
ذلك الفرعون قد مات غرقا، وأن جثته فقط هي التي تم إنقاذها، أو أنه  
قد تم إنقاذه أثناء غرقه وهو في حالة أقرب من الموت منها للحياة، فإن  
هذا لا يؤثر بحال من الأحوال على أهمية المعجزة القرآنية. إن جسد ذلك  
الفرعون قد تم حفظه بالفعل، وهذه الحقيقة قد صارت معلومة لمن خلفه  
من أجيال، تماما كما سبق وتنبأ بذلك القرآن المجيد.

وبالمناسبة.. إن العلماء الذين يعتقدون أن فرعون كان ميتا حين تم  
استعادة جسده.. يعتقدون أيضا بأنه كان "منفتح" الذي خلف  
رعمسيس الثاني، ولم يكن رعمسيس الثاني نفسه بل خلفه. وهذا يعني أن  
موسى عليه السلام عاش في فترة حكم فرعونين اثنين بدلا من فرعون واحد.  
فقد وُلد بينما كان رعمسيس الثاني قد تبوأ الحكم وصار ملكا، وترى  
موسى عليه السلام في قصره بإشراف إحدى زوجاته التي كانت سيدة سالحة  
تحشى الله تعالى، ويُقال إنها كانت أصغر زوجاته. وحيث إنها كانت  
محرومة من إنجاب الأطفال، فقد كانت رغبته في أن تتبنى طفلا أمرا  
مفهوما. وإن أخذنا بوجهة النظر هذه فيترتب على هذا أن يكون موسى  
عليه السلام قد ترك مدين ليعود إلى مصر بعد وفاة رعمسيس الثاني حين تم  
تتويج منفتح. وهم يستشهدون بما يذكره الكتاب المقدس لتأييد رأيهم  
بأن الله تعالى قد أخبر موسى عليه السلام وهو بمنفاه في مدين أن فرعون -  
الذي أثناء حكمه قتل موسى رجلا - قد مات.



ويبدو هذا الرأي معقولا ومقبولا.. ولكن في ظاهره فقط. فإن موت الملك لا يُعني أي شخص من عقاب جريمة ارتكبتها، وليس في هذا أي منطق على الإطلاق. ولذلك فإن الله تعالى لا يشير في القرآن المجيد من قريب أو بعيد إلى موت أي فرعون لكي يزيل خوف موسى عليه السلام، بل على العكس.. أخبره الله تعالى ألا يخاف، لأنه سبحانه سوف يتولى حمايته هو وأخيه، وهذا ما يبدو أكثر معقولة. كذلك يبدو من أحوال مومياة رعمسيس الثاني أنه قد مات بعد أن بلغ أرذل العمر.. مما يقرب من التسعين عاما، وأنه قضى السنوات الثلاثين الأخيرة من عمره وهو طريح الفراش، يعاني من أمراض الشيخوخة، فكان عجوزا مترنحا من الغابرين، يقاسي الأوجاع والآلام الشديدة الناتجة عن حالة متقدمة من مرض تصلب الشرايين. ومن الممكن أن تكون هذه الحالة قد نتجت بسبب غرقه وتوقف تغذية المخ بالأكسجين اللازم لوقت لم يكن قصيرا.

كذلك فإن مدة بقاء موسى عليه السلام بالمنفى في مدين قد استمرت فقط لمدة ثماني أو عشر سنوات. كان رعمسيس الثاني قد بلغ من العمر في نهايتها ما لا يزيد عن الأربعين أو الخمسين عاما. وعلى هذا فإن عبارة الكتاب المقدس التي تشير إلى أن الله تعالى كان ينتظر وفاة فرعون لتكليف موسى عليه السلام بالنبوة، وإصدار الأمر إليه بالذهاب إلى مصر هي عبارة غير مقبولة. وبالمناسبة.. حسبما يشير القرآن المجيد.. فإن فرعون الذي عاد إليه موسى عليه السلام قد اتهمه بارتكاب جريمة القتل، ولكنه كان يبدو مترددا في اتخاذ إجراء ضده بسبب الآيات الإعجازية التي أظهرها موسى أمامه. ومن الواضح أن نجاته من العقاب لم يكن يقينا بسبب موت أحد الفراعة وتويع آخر مكانه.

وأیضا.. يبدو من القرآن المجید ومن الكتاب المقدس أن حياة موسى وأخيه هارون عليهما السلام بعد عودتهما إلى مصر كانت حياة حافلة بالأحداث، كما أن المواجهة بينهما وبين فرعون قد طالت بحيث لا بد

وأن تكون قد استغرقت عقدا من الزمان، أو ما يقرب من ذلك، إلى أن وصلت إلى ذروتها. فليس من المعقول أن تكون كل الحوادث التي وقعت قد استغرقت عاما أو اثنين. وفي المقابل من هذا.. يُقدّر المؤرخون أن كل فترة حكم منفتح من يوم تتويجه إلى يوم وفاته لم تتجاوز سوى ثماني سنوات أو أقل.

وبالإضافة.. فإن التاريخ يصف منفتح بأنه كان ملكا محاربا، قام بعدة حملات للهجوم على أهل فلسطين عاما بعد عام، بينما لا يذكر بتاتا.. كل من القرآن المجيد والكتاب المقدس.. أن فرعون موسى قد قام بمثل هذه الحملات التي تستدعي مروره على الأرض التي كان يسكنها بنو إسرائيل في مصر. ولكن.. لعل صفحات هذا الكتاب ليست هي المكان المناسب لمناقشة هذا الموضوع بالتفصيل، كما أنه ليس من المحتم بالضرورة إثبات أي من الفرعونيين.. رعمسيس الثاني أو منفتح.. كان هو فرعون مصر أثناء خروج بني إسرائيل منها. فطالما ظلت موميائهما محفوظتين مصونتين، فإن أيا منهما سوف يظل دائما شاهدا على صدق وصحة نبوءة القرآن الكريم، أما اسمهما فلا أهمية له على الإطلاق.

### النبوءات المتعلقة بالمستقبل القريب والبعيد

بعد أن قدمنا بشيء من التفصيل بعض الحوادث الهامة في التاريخ المصري القديم، التي وقعت في عصر موسى عليه السلام، والتي ظلت مخفية مكونة إلى زمن نزول القرآن المجيد، نتوجه الآن إلى بعض نبوءات الوحي القرآني التي تختص بالعديد من الحوادث الأخرى. وتتعلق هذه النبوءات بالكثير من مجالات الاهتمامات الإنسانية.. الاجتماعية والدينية والسياسية.. كما تتعلق أيضا بالتقدم العلمي الذي سوف يكون بداية لعصور من التقدم، يكون من المقدّر لها أن تُغيّر وجه الأرض بأكملها. كذلك فإن بعض هذه النبوءات تشمل التغييرات البيئية، والتي سوف تتحقق عن طريق الاختراعات العلمية المستقبلية والتوسع في الصناعة.

وهناك قائمة طويلة من هذه النبوءات التي تحتويها السور القصيرة في أواخر القرآن المجيد، ولكنها ليست مقصورة على هذه السور وحدها. وذكر هذه النبوءات ليس وقفاً على القرآن وحده، فإن الكثير منها قد تناولته الأحاديث الشريفة بالشرح والتفصيل. وقد اخترنا فقط من هذه النبوءات بعض العينات التي تنتمي إلى فئات متباينة. أما النبوءات التي تختص بوسائل النقل الجديدة ومدى تأثيرها الواسع، فسوف نتناولها بتفصيل أكبر في نهاية هذا الفصل، نظراً لأهميتها العالمية.

وللمحافظة على تسجيل الحوادث بحسب ترتيب وقوعها التاريخي.. نبدأ بذكر النبوءات التي تحققت أثناء حياة الرسول ﷺ. والبعض من هذه النبوءات يتعلق بعودته إلى مكة بعد أن اضطر للهجرة منها إلى المدينة، وكل هذه النبوءات قد نزلت في القرآن حتى من قبل هجرته إلى المدينة، وبذلك.. وفي نفس الوقت.. أشارت هذه النبوءات إلى أنه ﷺ سوف يهاجر من مكة وسوف يعود إليها. فالآية التالية من سورة القصص، وهي سورة مكية نزلت قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ  
مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٨ القصص: ٨٦)

وقد كان ذكر عودته ﷺ إلى مكة المكرمة قبل هجرته منها نبوءة ذات مدلولين. وبالنظر إلى التدهور المستمر في الأحوال.. مما جعل الحياة في مكة أمراً يزداد سوءاً باطراد بالنسبة له ولأتباعه من المؤمنين، فرمما يبدو موضوع الهجرة لبعض القراء أمراً حتمياً معقولاً. ولكن علينا ألا ننسى أن عوامل الدهشة والعجب في هذه النبوءة ليست في وقوع الهجرة، وإنما العامل الذي يثير العجب هو التحدي الواضح لإرادة وقوة أهل مكة، الذين كان من الممكن ألا يسمحوا بتحقيق نبوءة الهجرة. كذلك فإن التصميم المتنامي لأهل مكة على منع الرسول ﷺ من الهرب، وعملهم

المواصل على عدم السماح له بالهجرة، كانت هي العوامل التي تؤكد على عدم احتمال صدور هذه النبوءة من الرسول نفسه، وهو في الظروف الصعبة التي لم يكن له فيها من حول ولا قوة.

وهناك وعد إلهي آخر بأن الرسول ﷺ سوف يعود حتما إلى مكة، وسيدخلها مدخل صدق، وتتضمن الآية التالية هذا الوعد:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾

(١٧ الإسراء: ٨١)

والمثال الثالث عن كيف أن عودة الرسول ﷺ الظافرة إلى مكة قد سبق التنبؤ بها، حتى من قبل أن تبدأ الهجرة منها. ويمكن استنباط ذلك من الآيات الأولى من سورة الروم (رقم ٣٠) التي أجمع العلماء على أنها قد نزلت قبل الهجرة:

﴿غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٣٠ الروم: ٣-٦)

وتشير هذه الآيات إلى الهزيمة الأولية التي أصيب بها الرومان على أيدي الفُرس. وتتنبأ هذه الآيات بوضوح بأن النصر الذي حققه الفُرس سوف يتبين أنه نصر قصير الأمد، وأنه خلال بضعة سنين سوف تتحول هزيمة الرومان إلى نصر. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ إن ما تتضمنه هذه النبوءة فيما يتعلق بمصير المؤمنين هو أمر واضح كل الوضوح. إذ بعد نزول هذه الآيات لم يلبث المسلمون أن فقدوا مساكنهم وممتلكاتهم التي استولى عليها المشركون في مكة، كما فقد الرومان أيضا مساكنهم وممتلكاتهم التي وقعت في أيدي المشركين في فارس، وكان الاقتناع العام بين الصحابة هو

كشبه القرآن من الغيب.. منظور تاريخي

أنه عن قريب.. بعد انتصار الرومان.. فإن المسلمين أيضا سوف يستعيدون مكة. وكان هذا الاقتناع شاملا بين جميع صحابة رسول الله، ولكن كان الاختلاف الوحيد هو في المدة التي سوف يتم فيها تحقق هذه النبوءة. وقد نشأ هذا الاختلاف من تفسير التعبير القرآني: ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾ الذي يعني حرفيا فترة من الوقت تمتد من ثلاث إلى تسع سنوات. وقد راح بعض الصحابة في غمرة حماسهم من أجل تحقق النبوءة يُراهنون على أن عودتهم سوف تتحقق حتما بعد انقضاء ثلاثة أعوام. غير أن الآخرين كانوا يُذكروهم بأن عودتهم يمكن أن تتأخر إلى تسع سنين، وهي مدة الحد الأعلى للتعبير ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾. وقد أثبت تتابع الأحداث صحة الرأي الأخير. وهكذا تحقق الوعدان نصا وروحا، فتحقق أولا الوعد للرومان الذين استعادوا خلال المدة المحددة أرضهم التي كانوا قد فقدوها، ثم جاء دور المسلمين لأن يعودوا إلى مكة في نصر محقق قبل انتهاء فترة ثماني سنوات بعد الهجرة.

وهناك نوع آخر من النبوءات التي تحققت أيضا بوضوح تام أثناء حياة الرسول ﷺ، تتعلق بالهجمات المتكررة على المسلمين في المدينة من جانب أهل مكة وحلفائهم من قبائل أهل البادية.

وأولى هذه النبوءات.. كما هي مذكورة في الآيات التالية.. تصف بجلاء أحداث معركة غزوة بدر. فخلال أول مواجهة على نطاق واسع بين المسلمين وجيش رهيب.. يضم المقاتلين المتمرسين على فنون القتال من بين أهل مكة، تم هزيمة الجيش الذي جاء إلى قرب المدينة غازيا، مما دفعه إلى الانسحاب والهروب المخزي، وذلك على يد حفنة من المدافعين المسلمين، تُعد بالمقارنة حفنة صغيرة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرُونَ ﴿١﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ  
الدُّبُرَ ﴿٢﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾

إن الهزيمة الفادحة التي نزلت بجيش مكة كان قد سبق التنبؤ بها بشكل واضح في هذه الآيات المذكورة عالياً. وتؤكد الآية الأخيرة على مرارة الساعة بالنسبة لهم.

فالصفوة من بين زعماء مكة، الذين أقسموا على معاداة الإسلام، وكانوا أيضاً مشهورين بكرهاتهم الشديدة للرسول ﷺ، سقطوا جميعاً الواحد بعد الآخر، وقد تمرغت وجوههم في تراب ساحة المعركة في بدر. لقد قُتل أبو جهل بيد صبيّين مسلمين، وكذلك لقي شيبه وعُتبه ساعتهم المقدرة، فأجهز السيف عليهم خلال ساعات قليلة. وحل الليل على القلوب الكأداء الحزينة من أهل مكة وكأنه كان يوم الساعة، واضطروا إلى الهروب مدحورين في فوضى شاملة. وتشير الآيات التالية من سورة الأنفال إلى هذه الهزيمة المخزية فتقول:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٨ الأنفال: ٨)

## غزوة الخندق

كانت غزوة الخندق ذات أهمية خاصة بين المواجهات الأخرى التي وقعت مع أعداء الإسلام، وقد وقعت هذه الغزوة حسب ما سبق التنبؤ به وبكل دقة. كذلك فقد سبق التنبؤ خلال هذه المعركة ببعض الانتصارات العظيمة الأخرى، وذلك في الوقت الذي كانت فيه حياة المسلمين أنفسهم في مهب الرياح.

وقد جاء أول نبأ عن غزوة الخندق في سورة "ص"، وهي بالتأكيد سورة مكية، ونزلت في المراحل الأولى من البعثة النبوية حسب رأي معظم

العلماء. تقول الآية الكريمة:

﴿جُنِدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ (٣٨ ص: ١٢)

وإلى هذه النبوءة أيضا يشير القرآن المجيد:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾  
(٣٣ الأحزاب: ٢٣)

ومن بين جميع المعارك التي خاضها الرسول ﷺ، انفردت غزوة الخندق  
بكونها أكثرها خطورة وأشدّها وقعا وبلاء على المسلمين، من حيث إنها قد  
شنت على المسلمين في عقر دارهم وعلى أرضهم في المدينة. وفي الكثير من  
الأحيان كانت شدة البلاء تنذر بأنه لا أمل للمسلمين في الحياة والنجاة  
بأرواحهم. ويصف القرآن المجيد أحوال المسلمين في الآيات التالية:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ  
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١﴾  
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٢﴾ وَإِذْ يَقُولُ  
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا  
غُرُورًا ﴿٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ  
فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ  
وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (٣٣ الأحزاب: ١١-١٤)

وقد استحقت هذه الغزوة أن تسمى غزوة الخندق.. لأنه لما بلغت  
الأخبار رسول الله بأن جميع قبائل العرب تقريبا قد توأطأت على غزو

المدينة، في مواجهة حاسمة أخيرة للقضاء على الإسلام قضاءً مبرماً، صار بناء حاجز في الجزء المكشوف من المدينة أمراً لا مناص منه. فقد كان عدد المسلمين بالنسبة لأفواج الجيوش المهاجمة صغيراً للغاية، حتى إنه كان من المستحيل لهم على الإطلاق أن يمنعوا العدو من دخول المدينة إذا شب قتال عام بين الجانبين. وعلى هذا.. وبعد التشاور في الأمر.. تقرر أن حفر خندق هو الخيار الوحيد المتاح أمام المسلمين. وكان المطلوب هو حفر خندق على طول مسافة لا تقل عن ميل في أرض صخرية شديدة الصعوبة.

وتختلف التقديرات عن أعداد المسلمين الذين اشتركوا في هذا العمل، إذ تقول أدنى التقديرات إنهم كانوا سبعمائة، بينما تذكر أعلى التقديرات أنهم كانوا ثلاثة آلاف. ونحن نرى أن عددهم كان حول ألف وثمانمائة رجل على أكثر تقدير، وذلك لأن الأمر الوحيد الذي تتفق عليه الآراء هو أنه قد أُنيط بكل مجموعة تتكون من عشرة أفراد.. حفر مسافة عشر ياردات من الخندق. وحيث إن المسافة كانت لا تزيد عن ميل واحد، لم يكن عدد أفراد المسلمين المطلوبين ليزيد عن ألف وسبعمائة وستين رجلاً. وكان العمل شاقاً ومجهداً، وكان المشتركون يعانون من الفقر والحرمان، مما زاد من صعوبة المشاكل التي كان يواجهها المعسكر الإسلامي. وفي بعض الأحيان كان يتعين على الرجال العمل على معدة خالية خاوية طوال اليوم وعلى مدى الأيام المتتالية.

وفي أثناء تلك الظروف القاسية، بلغ الرسول ﷺ أنه رغم المحاولات المتكررة للرجال المشتركين في الحفر، فإن حجراً صخرياً كبيراً اعترض طريق الحفر، وظل شامخاً في عناد غير عابئ بضربات المعاول التي انهمالت عليه. وتوجه الرسول ﷺ إلى مكان الحجر ليتفقد الأمر، فلما وصل إلى البقعة التي بها المعضلة أخذ معولاً بيديه الشريفتين، وضرب الحجر ثلاث ضربات حتى انفلق، وتحطم إلى قطع صغيرة. وفي كل مرة كان ﷺ يضرب بمعوله الحجر.. كان الشرر يتطاير منه فيصيح مكبراً: "الله



أكبر“. وفي نهاية الأمر.. استفسر منه الصحابة عن سبب تكبيره في المرات الثلاث بصيحة الانتصار، فأجاب الرسول ﷺ بأنه رأى في الشرارات التي تطايرت في المرة الأولى قصور سوريا في الإمبراطورية البيزنطية وقد أعطيت له مفاتيحها، وفي المرة الثانية رأى قصور ميديا وفارس المضيفة وقد تسلم مفاتيحها، وفي المرة الثالثة تسلم مفاتيح قصور صنعاء بعد أن شاهدها في الشرارات التي انبعثت عندما ضرب الحجر بمعوله. ويشهد التاريخ على أن هذا هو ما تحقق بالضبط، ولكن لم تكن المعجزة هي في تحقق هذه الأنباء فحسب، وإنما كان مجرد التفوه بهذه النبوءات، في ذلك الوقت الصعب الذي قيلت فيه، هو في ذاته معجزة كبرى.<sup>٢</sup>

إنه من النادر أن يُقدم لنا التاريخ مثالا مشابها لقلة من المدافعين، لا حول لهم ولا قوة، يتعرضون لهجوم كاسح من عدو كاسر، كما كان الحال مع المسلمين أثناء انشغالهم في حفر الخندق، يوما بعد يوم، وقد عضّهم الجوع بأنيابه، ونال منهم التعب بأوجاعه. لقد كان ذلك الوقت هو الوقت الذي لم يحدث لروح المسلمين المعنوية أن اضمحلت إلى مستوى أدنى مما وصلت إليه، وكان ذلك الوقت هو الوقت الذي تحدث فيه محمد ﷺ بهذه الكلمات التاريخية التي لا يستطيع التاريخ أن يصنعها، بل هي التي صنعت التاريخ.

وتنبؤ أحد يمثل هذه الانتصارات في مثل ذلك الوقت العصيب.. يعني أن هذه النبوءات لا بد أن تكون إما من نتاج هذيان رجل مجنون، أو تكون بلاغا من رب العالمين على لسان نبي عظيم. أما أن يكون محمد ﷺ مجنونا فحاشا له ذلك، فقد كان هو أحكم الحكماء الذين عاشوا على وجه هذه الغبراء. وإن كان هناك من نبي قد تشرف بتلقي أعلى درجات الوحي القدسي العظيم من الله تعالى، فقد كان ﷺ هو ذلك النبي. لقد صاغت شفتاه الكريمتان الأقدار، ونطق لسانه الحكيم الأحكام لأن الله تعالى كان يتكلم معه، وهو يتكلم بلسانه ﷺ.

وكما سبق الإشارة إليه.. ليس الغرض من هذا المقال تقديم دراسة تفصيلية لكل النبوءات التي ذكرها القرآن المجيد والرسول ﷺ، وإنما هي مجرد محاولة لأن نقدم للقارئ بعض النبوءات المعينة التي لها وقع كبير ومدى واسع. وبعد أن ذكرنا بعض هذه النبوءات التي تتعلق بزمان رسول الله والفترة التي تلتها مباشرة، نتوجه الآن إلى فئة أخرى من النبوءات تتعلق بالمستقبل البعيد نسبيا. ومن الصعب تقرير من أين نبدأ، ولكن لعله ليس من غير المناسب أن نبدأ بالنبوءات عن امتداد العالم الذي كان معروفا، وذلك باكتشاف قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية. وفيما يلي الآيات الكريمة التي تتعلق بهذا الموضوع:

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿۸۴﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿۸۵﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿۸۶﴾﴾  
(الإنشقاق: ٤-٦)

وقد تحققت بوضوح كامل النبوءة التي تتضمنها الآية الأولى في هذا المقطع باكتشاف 'العالم الجديد' في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، حين خطا كريستوفر كولومبس بأقدامه للمرة الأولى على أرض جزيرة من جزر البهاما في ١٢ أكتوبر (تشرين أول) من عام ١٤٩٢. كانت هذه هي بداية النهاية لشعوب الأمريكتين. ولكن بداية أخرى.. يبدو أنه لا نهاية لها.. قد قُدرت لأمريكا أن تعلو وتتسلط على بقية العالم القديم، وهذا ما تضمنه بجلاء الآية الثانية التي تذكر أن الأرض سوف تلقي بأثقالها وأسرارها وتخلو بذلك. ونفس هذا الموضوع قد تناولته أيضا وبتفصيل أكثر بعض السور الأخرى. فمثلا تقول الآية الثانية والثالثة من سورة الزلزال:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿۹۹﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿۱۰۰﴾﴾  
(الزلزال: ٢-٣)

وهنا تذكر الآية نبوءة عن أن الأرض سوف تتزلزل زلزالا شديدا، وسوف تُخرج المعادن الثقيلة التي في باطنها، وسوف يبدأ الإنسان في التعجب والاندھاش لأحوالها، حتى إنه سوف يبدأ في التساؤل عما جرى لها. إن كلمة 'أثقال' التي جاءت في الآية تشير إلى كل ما هو ثقيل، وعلى ذلك فإن تفسير خروج الأثقال من الأرض بما يعني خروج المعادن الثقيلة، لا يُعد تحميلا على معنى الآية. كذلك فإن إخراج الأثقال من الأرض يمكن أن يكون معناه خروج الكنوز من الأرض. إن كل التقدم العلمي الذي تحقق في عصرنا هذا ما كان من الممكن أن يتحقق بغير اكتشاف المعادن الجديدة التي أخرجتها، الأرض تماما كما سبق أن ذكرته النبوءة. فإذا استبعدنا وجود جميع هذه المعادن.. لدارت عجلة التقدم العلمي إلى الخلف دورة كاملة. فلا يمكن تصور إمكانية وجود أي من الاختراعات العلمية الحديثة بغير اكتشاف الفحم، والبترو، واليورانيوم، والبلوتونيوم، والألومنيوم وغير ذلك.

إن الترتيب الزمني لهاتين النبوءتين المذكورتين عاليه يتضمن أيضا معنى معيناً. فالنبوءة التي تتحدث عن امتداد الأرض في العالم القديم.. قد تبعتها على الفور النبوءة التي تتحدث عن استخراج المعادن الجديدة، وهذا هو بالضبط الترتيب الذي تحققت به النبوءتان.

## النبوءة عن الكشوف الأثرية

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (٨٢ الانفطار: ٥)

بينما تتحدث آية سورة الزلزال بوضوح عن إخراج الأرض لأثقالها من الكنوز التي في باطنها، فإن هذه الآية من سورة الانفطار تذكر بجلاء الحفريات والكشوف الأثرية.

غير أن هذه ليست هي الآية الوحيدة التي تتحدث عن هذا الموضوع، وقد اخترنا هذه الآية بالذات بسبب طبيعتها التنبؤية، وإلا فهناك العديد من

الآيات الكريمة في القرآن المجيد.. التي تكرر دائما لفت أنظار الإنسان بصورة مباشرة إلى الكثير من المدن الدفينة والحضارات التي كانت تعيش فيها الأقبام الغابرة. وهي تحث الإنسان على البحث والتنقيب عن آثار تلك الأقبام، ودراسة العوامل التي تسببت في تدميرها وفنائها. وتذكر الآيتان التاليتان من فواتح سورة التكوير أن الإسلام سوف يكون قد اضمحل شأنه وأصابه الضعف قبل أن ينبلج فجر عهد جديد:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾

(٨١ التكوير: ٢-٣)

ويجب أن نضع في الاعتبار أن الشمس والنجوم المذكورة في هاتين الآيتين ترمز للإسلام وعلماء المسلمين. فالقرآن الكريم يشير إلى الرسول الكريم ﷺ ويصفه بكونه ﴿سَرَّاجًا مُنِيرًا﴾، تماما كما وصف الشمس بكونها سراجا كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سَرَّاجًا﴾ (٧١ نوح: ١٧) بينما يشير الرسول ﷺ إلى صحابته من العلماء الذين يتلقون النور منه، فيشبههم بالنجوم التي تشع من الضوء ما يكفي لهداية الناس، فيقول:

”أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم“<sup>٢</sup>.

فحينما تُوصف الشمس بأنها قد توقفت عن بسط نورها وأشعتها، إنما يعني ذلك بجلاء اضمحلال شأن الإسلام، لأن الرسول ﷺ هو رمز الإسلام الحي. وانكدار النجوم بنفس هذا المنطق يشير إلى زمان يتوقف فيه العلماء عن إشعاع نور الإسلام. ويؤيد هذا التفسير ما تحويه الآيات التالية لهاتين الآيتين. فهي كلها تحدثنا عن زمان للتقدم العظيم.. العلمي والسياسي والاجتماعي.. الأمر الذي يجعل من هذا التقدم سمة مميزة لذلك الزمان. فإذا كانت فواتح السورة التي ذكرناها فيما سبق، تتعلق بهذا العصر المزدهر الذي تحدث فيه كل هذه التغييرات الثورية، فسوف يكون صوت الخلاف بين الآيات الأولى وما تلاها عاليا ومزعجا، الأمر الذي يوحش الصدر

ويدمي الفؤاد. فهذا يعني أن ذلك العصر العبقري.. الذي تتقدم فيه المعارف بشكل يكاد أن يكون معجزا.. يوصف وكأن الشمس فيه قد احتجب نورها، وتوقفت النجوم عن إشعاع ضوئها. لا.. بل هما مرحلتان مختلفتان من التطورات المستقبلية. وعلى ذلك.. إذا كان القدر الأكبر من هذا الفصل يتعلق بالرفعة المادية للعالم المسيحي التي كان من المقدر لها أن تتلو اكتشاف الأمريكتين، فيتعين أن نفهم الآيتين الأوليين على أنهما تتعلقان بمصير الإسلام. فما الذي حدث للإسلام حتى إنه يوصف بهذا الوصف الحزين في العام الذي تم فيه اكتشاف الأمريكتين؟ إذا وجدنا الإجابة على هذا السؤال.. فلن تكون هناك حاجة إلى دليل آخر لتأييد ما ذهبنا إليه في تفسير هذه الآيات. إن عام ١٤٩٢ الذي أشرنا إليه فيما سبق هو أبرز الشواهد التي تفصل بين العالم القديم والجديد. فهل نستطيع التدليل على أن الإسلام قد وصل إلى الحضيض في نفس ذلك العام حتى يرى القارئ بسهولة علاقة واضحة بين الحداثين؟ نعم نستطيع.. وليس الحكم هو حكما ولا حكم أحد من المسلمين الآخرين، وإنما هو حكم التاريخ، الذي يشهد له المؤرخون المسيحيون أنفسهم. ويذكر كتاب تاريخ العالم (*Chronicle of the World*) ما يلي عن السمة الأشد تمييزا في ذلك العام فيما يختص بالإسلام:

"إن غرناطة.. آخر الولايات الإسلامية في أسبانيا.. قد سقطت في أيدي الجيش الكستيلاني بعد حملة استمرت لمدة عشر سنوات. وقد رحب المسيحيون باستسلام المدينة باعتباره "أعظم يوم وأشدّه بركة أشرفت فيه الشمس على أسبانيا". ويصف المسلمون هذا اليوم باعتباره واحداً من أشد الأيام هولاً وفضاعة أصاب الإسلام بكارثة مهولة"<sup>٣</sup>.

"لقد استولى فرديناند وإيزابيلا على غرناطة.. آخر الممالك الإسلامية في أسبانيا، وذلك بعد مقاومة للغزو المسيحي استمرت لقرنين من الزمان"<sup>٣</sup>.

وقد أدى هذا إلى نهاية الحكم الإسلامي في أسبانيا الذي استمر بغير انقطاع لمدة سبعمائة عام.

وبعد أن تم إنهاء السيادة السياسية للمسلمين في عام ١٤٩٢.. بدأت على الفور حملة نظمتها الكنيسة لاغتتيال الإسلام. ورغم أن السيادة الإسلامية قد انتهت نهايةً مبتورة بعد حكم استمر لمدة خمسمائة عام، فإن التأثير الذي خلفه الإسلام على مدى الخمسة قرون السابقة لم يكن من السهل القضاء عليه في عام أو عامين. فقد كانت هناك أعداد كبيرة من المراكشيين الذين تبعثروا في جميع أنحاء التلال والمنطقة الجبلية في الطرف الجنوبي من الأندلس، مما كان يُشكل جيوبا قوية منعزلة للإسلام. وكانت هناك أعداد أكبر من المواطنين الأسبان الذين دخلوا في الإسلام، ولم يكن هؤلاء أقل إخلاصا وتمسكا بالإسلام من المسلمين الأوائل الذين قاموا بغزو أسبانيا من الجزيرة العربية ومن أفريقيا. وقد كان هؤلاء.. أكثر من غيرهم من المسلمين.. هم الذين يشكلون مصدرا لضيق غير محتمل لرجال الدين المسيحي، الذين ظلوا يعملون طوال السنين على القضاء عليهم وتدمير دينهم.

وكان خيمينيس (Ximenes) هو رسول الكنيسة المتطرفة صاحب الصوت الأعلى، والذي:

"... كان يريد أن ينقذ أرواح أولئك "الكفرة" من الجحيم سواء شاءوا أم أبوا".<sup>٤</sup>

وقد وضع في

'... عقل إيزابيلا المقدس عقيدة شريرة، مؤداها أن المحافظة على العهد مع الكفرة معناه قطع العهد مع الله'.<sup>٤</sup>

ولم يكن

'... رجلا سهل صرفه عن تحقيق غرضه. فقد استحث الملكة على إصدار مرسوم ملكي يقضي بتخيير المور (أي المسلمين الأسبان) بين أن يُعمّدوا ويصيروا مسيحيين أو يُنفوا من أسبانيا. وكان يُقال لهؤلاء إن أسلافهم كانوا يوما ما من المسيحيين، وأنهم بكونهم من نسلهم فقد وُلدوا في رحاب الكنيسة، ويتحتم عليهم بذلك أن يؤمنوا بعقيدتها'.<sup>٥</sup>

وهكذا كانت بداية النهاية بالنسبة للإسلام في أسبانيا، التي استغرقت

مائتين من السنين لكي تستكمل مسارها القاتل.

"لقد أغلقت المساجد، وأحرق الكاردينال الغاشم ما لا يُحصى من المخطوطات التي كانت تحتوي على نتاج عصور من علوم المراكشيين. وقد هُدد "الكفرة" التعساء وضُربوا ليعودوا إلى إنجيل السلام والوئام بعد اتباع الأسلوب الذي تمت الموافقة عليه من قبل ملوكهم الكاثوليكيين ضد اليهود، الذين لم يكونوا أقل من المسلمين بؤسا وشقاء. وبالطبع فقد اضطرت الأغلبية للرضوخ، بعد أن وجدوا أنه من الأسهل عليهم أن يتخلوا عن دينهم بدلا من التخلي عن مساكنهم؛ غير أن جذوة من الإيمان ظلت مشتعلة في قلوب المور الذين كانوا يقيمون في جبال البوكساراس ... (Alpuxarras) <sup>٦</sup>.

"... لم يكن حكام أسبانيا من ذوي الحكمة أو الشرف في تعاملاتهم مع الموريين، ومع مرور الوقت، مال الحكام إلى الظلم أكثر فأكثر وجنحوا إلى الباطل. فقد صدرت الأوامر إلى "الكفرة" باستبدال ملابسهم الوطنية ذات الألوان المزركشة، وأن يبادروا إلى استعمال القبعات والسراويل القصيرة التي كان يرتديها المسيحيون؛ وأن يتوقفوا عن الاستحمام، ويتبنوا قدارة أولئك الذين انتصروا عليهم؛ وأن يتخلوا عن لغتهم، وعن عاداتهم، وعن أعيادهم، بل وحتى عن أسمائهم، وأن يتحدثوا اللغة الأسبانية، ويظهروا بالمظهر الأسباني، ويتسموا بالأسماء الأسبانية" <sup>٧</sup>.

"وكان من نصيب فيليب الثاني أن يضع في حيز التنفيذ العملي ذلك القانون الاستبدادي الذي تركه أبوه بغير تطبيق. وفي عام ١٥٦٧ أمر بتطبيق ذلك القانون البغيض فيما يختص باللغة والملابس وما شابه ذلك، ومن أجل ضمان تنفيذ منع النظافة.. أمر بهدم الحمامات الجميلة في مدينة الحمراء" <sup>٨</sup>.

"في شتاء عام ١٥٦٩-٧٠ بدأ (دون جون) حملته، وفي شهر مايو/أيار تم وضع شروط الاستسلام. وقد تلطخت الشهور.. بين بداية الحملة والاستسلام.. باللون الأحمر القاني بسبب نهر الدماء الذي جرى. وكان شعار (دون جون) هو "لا هوادة"؛ فقد ذبح الرجال والنساء والأطفال

حسب أوامره وأمام عينيه، وتحولت القرى الواقعة في جبال البوكسارّاس إلى أنقاض.<sup>٩</sup>

"لقد مات الكثيرون من المنفيين المطرودين من أسبانيا، بسبب الجوع والحاجة، والجهد والتعب، والتعرض للعوامل الجوية، بينما استطاع البعض أن يصل إلى أفريقيا، حيث كان عليهم أن يتسولوا الكفاف يوميا، ولكنهم لم يجدوا أرضا يزرعوها..."<sup>١٠</sup>

"يقال إن ما لا يقل عن ثلاثة ملايين من شعوب المور قد طردوا في الفترة ما بين سقوط غرناطة والعقد الأول من القرن السابع عشر. وبألم شديد يُسجل مؤرخ الأحداث العربي الضربة القاضية فيكتب قائلا: "لم يشأ الله القدير أن يمنحهم النصر، ولذا فقد غلبوا على أمرهم وقُتلوا تقتيلا في جميع الجوانب، وفي النهاية تم طردهم من أرض الأندلس. وقد وقعت تلك الفاجعة في أيامنا التي نعيشها في سنة ١٠١٧ الهجرية. إن الأرض والملك لله تعالى، وهو سبحانه يهبهما لمن يشاء."<sup>١١</sup>

"لقد طُرد شعب المور، ولفترة قصيرة راحت أسبانيا المسيحية تشع، كما يشع القمر، بنور ليس نابعا منه بل يقترضه من جرم آخر؛ ثم جاء زمن الخسوف، وظلت أسبانيا تتخبط في ظلام هذا الخسوف منذ ذلك الزمن.

١١

هذا ما ذكره ستانلي لين-بول (Stanley Lane-Poole) في كتابه عن التاريخ: "المور في أسبانيا" (*The Moors in Spain*). إن شمس السيادة السياسية الإسلامية التي غربت في أسبانيا عام ١٤٩٢، قد تركت وراءها.. فيما يبدو.. غسقا ملطخا بالدماء، استمر لمدة قرنين من الزمان.. إلى أن اختفى في النهاية نور الإسلام من سماء أسبانيا، فخيم عليها ظلام دامس انكدرت فيه النجوم.

أما التنوير العلمي الذي أتت به الحضارة الإسلامية التي خرجت من أسبانيا، فلم يستغرق الأمر طويلا إلا وقد خرج منها هو الآخر أيضا. وهكذا فتح عام ١٤٩٢ بوابتين في وقت واحد، دخل من إحداهما مستقبل السيادة المسيحية للعالم بتشامخ عظيم، ومن الأخرى خرجت



جميع الأجداد السالفة للإسلام، برؤوس مطأطئة ووجوه ترهقها فترة، وكانت كل خطوة تخطوها الأقدام في الطريق إلى المنفى.. تضيف آلاما تعتصر القلوب التي لا تقوى على احتمالها.  
وتتحدث الآية الرابعة من سورة التكوير عن تسيير الجبال من مكان إلى آخر. يقول تعالى:

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٨١ التكوير: ٤)

في التعبير الإسلامي تعني الجبال القوى المادية العظمى، وهناك العديد من الآيات الكريمة في القرآن المجيد تذكر الجبال بنفس هذا المعنى. وعلى هذا فإن هذه الآية التي تتحدث عن الجبال هي في الحقيقة الآية التي نبدأ بها دراستنا للموضوع لكي نفهم ما عسى أن يحدث في آخر الزمان. فبعد الاضمحلال المبدئي للإسلام، سوف يُعسعس ليل انكدرت نجومه، ثم يتنفس صبح يوم لن يكون فجره هو فجر انبثاق الإسلام مرة أخرى. إذ لن تظهر وتعلو قوى مادية عظمى فحسب، بل سوف تتحرك وتنتشر نفوذها على مدى واسع من مكان إلى مكان، ومن قارة إلى قارة، وتطوي تحت سيادتها بلدا بعد آخر. وهذه هي الكيفية التي يمكن أن تتحرك بها الجبال وتسير في الأرض، ولقد سارت الجبال بالفعل. ويمكن أيضا فهم سير الجبال بطرق أخرى سوف نتطرق إليها فيما بعد. أما الآن وقد بدأنا نتبين ونرى التغييرات العظيمة التي كان من المقدر أن تحدث حسبما تقول به هذه السورة الشريفة في ذلك العصر، فإننا سوف نتناول الموضوع شيئا فشيئا، ونسقا بعد نسق، كما يأتي في الترتيب الذي ذكره القرآن المجيد. وحيث إننا نتناول موضوع السير والحركة والانتقال، فمن السهل فهم ما تتضمنه الآية الخامسة التي تقول:

﴿وَإِذَا الْعُشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٨١ التكوير: ٥)

والعشار هي جمع أنثى الجمل التي تبلغ مدة حملها عشرة أشهر،  
وتقرر الآية أن هذه العشار سوف تُعطل عن الاستعمال.

وفي هذا السياق يمكن فهم هذه النبوءة التي تتحدث عن تعطل  
استعمال النوق والجمال في السفر والانتقال بأن وسائل أخرى  
للمواصلات.. أفضل، وأسرع، وأقوى من الجمال سوف يتم اختراعها.  
إن مشهد الجبال التي تسير من مكان إلى مكان، أي القوى العظمى التي  
تنشر نفوذها من قارة إلى أخرى، إنما تتعلق مباشرة بموضوع تعطل العشار  
عن الاستعمال.

ويجب أن نضع في الاعتبار أن سير الجبال يمكن أن يعني انتقال  
حمولات ضخمة، كما يعني أيضا نشر نفوذ القوى السياسية العظمى،  
وكل من هذه الأمور يتطلب حتما وسائل للمواصلات أشد قوة وأكثر  
تقدما من العشار. وإن لم تكن مثل هذه الوسائل الجديدة للمواصلات قد  
صارت متاحة للإنسان، لكان من الجنون حقا أن يتخلى عما لديه من  
وسائل السفر مهما كانت ضعيفة أو بطيئة. وهو بلا شك لن يتخلى عن  
العشار ليحمل هو على ظهره حمولات ضخمة كالجبال!

إن المفهوم الذي لا مناص للمرء أن يخرج به من هذه الآية الكريمة..  
هو أن الله تعالى سوف يُمكن الإنسان من اختراع وسائل آلية جديدة  
للسفر والانتقال تكون أعظم قوة وأكثر سرعة، مما يجعل وسائل السفر  
التقليدية معطلة عن الاستعمال ولا قيمة لها.

ويجب ألا ننسى أن العشار يمكن أن تكون رمزا فقط لوسائل  
المواصلات التي تتحرك على الأرض اليابسة، ولكن المرء ليعجب.. ماذا  
عن القوارب والسفن وغيرها، ولماذا لم يأت ذكرها، وماذا يذكر القرآن  
المجيد من أنباء عما يؤول إليه أمر وسائل المواصلات البحرية؟ هذا ما  
سوف نتناوله فيما بعد، وأما الآن فنتناول الآية التالية التي تتحدث عن  
حشر وتجميع كل أنواع الحيوانات. يقول تعالى:

## ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (٨١ التكوير: ٦)

إن الانتقال من ذكر التخلي عن العشار إلى جمع الحيوانات لأمر يثير الاهتمام، وفي هذا دليل آخر على أن العشار لن تُترك وشأنها ما استمر نفعها كوسيلة للسفر. فإن ذكر تجميع الحيوانات مع بعضها البعض يؤيد فكرة اختراع وسائل جديدة للنقل. فمن الطبيعي أنه لا يمكن تجميع الحيوانات الكاسرة ونقلها من مكان إلى آخر على ظهور الجمال. ولا يمكن أن يتصور أحد أن أيا من الفيلة، ووحيد القرن، وأفراس البحر، والزراف، والتماسيح، والحوت الأزرق، والأخطبوط الضخم، وغيرها.. سوف تستمتع بركوب الجمال! إن نقل هذه الحيوانات لا يكون ممكنا إلا بعد اختراع وسائل النقل والمواصلات التي نراها الآن في عصرنا الحالي. وتستمر الآية التالية في الحديث عن نفس موضوع النقل والمواصلات، إذ تقول:

## ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٨١ التكوير: ٧)

إن كلمة ﴿سُجِّرَتْ﴾ في الآية الكريمة يمكن أن يكون لها ثلاثة معانٍ مشتركة كما جاء في موسوعة لين (Lane):

١. وإذا امتلأت البحار.
٢. وإذا التقت البحار بعضها مع بعض.
٣. وإذا تأججت البحار بالنيران.

أما بالنسبة للمعنى الأول.. فإن امتلاء البحار بطبيعة الحال يعطي الانطباع بامتلائها بالسفن التي تمخر عبابها. وبهذا المعنى تتفق الآية مع نفس الموضوع الذي تعالجه الآيات السابقة. وسوف نتناول هذا المعنى بتفصيل أكبر حين نعود إلى مناقشة هذا الموضوع مرة أخرى.

أما الآن.. فإننا نريد أن نتناول المعنى الثاني من هذه المعاني الثلاثة، الذي يتحدث عن النقاء البحار بعضها مع بعض. وتشير الآيتان التاليتان

من القرآن الكريم إلى هذه النبوءة بشيء من التفصيل:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿٢٠﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾

(٥٥ الرحمن: ٢٠-٢١)

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ  
أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (٢٥ الفرقان: ٥٤)

جاءت هذه الآيات الكريمة في سورتين مختلفتين من سور القرآن الكريم، تذكر كل منهما نبوءة عن حادثة منفصلة عن التقاء بحرين. وهذا ما حدث تماما في الزمن الحديث، حيث تم حفر قناة السويس فيما بين عام ١٨٥٩ إلى عام ١٨٦٩، وحفر قناة بنما فيما بين عام ١٩٠٣ وعام ١٩١٤، وقد شاهد العالم تحقق هذه النبوءات بشكل لا يمكن أن يكون قد خطر على بال أحد في الزمن الذي عاش فيه الرسول الكريم ﷺ.

المعنى المشترك الثالث.. الذي يذكر مشهد البحار وقد تأججت بالنيران.. لا يقل غرابة عن المعنى الأول، مما يقضي بأنه من المستحيل أن يكون هذا المعنى قد خطر على قلب بشر قبل أربعة عشر قرنا من الزمان. فهو أمر لا يمكن أن يتحقق إلا عند اندلاع معارك بحرية تتبادل فيها الأسلحة النارية بقوة مهولة. وبالمناسبة.. إن الأعداد الضخمة من السفن التي تشترك في المعارك البحرية الحديثة تغطي أيضا مساحات شاسعة من البحار، مما يؤيد ما ذهبنا إليه في القول بأن المقصود بامتلاء البحار هو أنها سوف تمتلئ بالسفن التي تمخر عباب هذه البحار.

كذلك فإن المعنى المشترك الثالث الذي يتحدث عن الزمن الذي تتأجج فيه البحار بالنيران.. يشير إلى الزمن الذي يحدث فيه انسكاب كميات هائلة من البترول كما يحدث في عصرنا الحالي. وكثيرا ما تُشعل تلك الكميات المنسكبة من البترول للتقليل من أخطار آثارها على الحياة البحرية. وفي تلك الأحوال يمكن مشاهدة مساحات هائلة من البحار تبلغ

كشبه القرآن من الغيب.. منظور تاريخي

مئات الألوف من الأميال المربعة وقد اشتعلت بالنيران.. حرفيا كما تذكر الآية الكريمة.

وتزيد الآية التالية من سورة التكوير نفس الفكرة وضوحا وتفصيلا، وبالإضافة إلى تجميع الحيوانات فإن النفوس البشرية أيضا سوف تجتمع كما تشير إليه الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٨١ التكوير:٨)

وهذه الآية أيضا يمكن أن تحتل معان ثلاثة:

١. عندما يرتبط الناس بعضهم ببعض من خلال روابط معينة.
٢. عندما يندمج الناس من جميع أنحاء العالم بعضهم ببعض.
٣. عندما يتم اتصال الناس بعضهم ببعض من خلال وسائل أسرع للسفر والاتصال.

ومن الواضح أن كلا من المعاني الثلاثة المذكورة قد تحقق وحدث بالفعل. فعصرنا هو العصر الذي ارتبطت فيه جميع أمم العالم بمواثيق ومعاهدات دولية بغير استثناء. وعلى ذلك يكون المعنى الأول لهذه الآية الكريمة قد تحقق بجلاء ووضوح، ولا يحتاج الأمر إلى تفصيل آخر. كذلك فإن إنشاء عصبة الأمم.. التي تم استبدالها فيما بعد بهيئة الأمم المتحدة.. قد ساعد على التقدم خطوة أخرى في سبيل تحقيق اندماج وتوحيد العالم، تماما كما تنبأت به الآية.

أما فيما يختص بتحقيق النبوءة التي يتضمنها المعنى الثالث لهذه الآية الكريمة، فقد رأينا كيف أن المسافات التي تفصل الشعوب والأمم بعضها عن بعض قد تقلصت بفضل وسائل السفر والاتصال الحديثة، حتى إنها قد خلقت الإحساس بأن العالم كله قد تقلص ليصبح قرية واحدة.

وقبل الاستطراد في دراسة آيات سورة التكوير وما تحمله من نبوءات، نود أن نشير إلى نبوءة أخرى تتعلق أيضا بموضوع تجمع الناس

بعضهم مع بعض. إذ تذكر النبوءة تجمع بني إسرائيل وعودتهم إلى الأرض المقدسة في آخر الزمان. يقول تعالى:

﴿وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (١٧ الإسراء: ١٠٥)

إن تدمير أورشليم في عام ٧٠ بعد الميلاد على أيدي الرومان، كان هو الناقوس الذي أعلن بدقاته البائسة نهاية الدولة اليهودية. فمنذ ذلك الحين.. تبعث اليهود في جميع أنحاء العالم.. من بلد إلى بلد. وتشير الآية الكريمة إلى هذه الحال من الانتشار في الأرض، إلى أن يتحقق في يوم ما لجميع اليهود مرة أخرى من جميع أنحاء الأرض، وحشدهم في الأرض المقدسة. إن هذا وعد من الله تعالى وكان من المحتم أن يتحقق، وقد شاهدنا بالفعل تحقق هذا الوعد على نطاق واسع، بشكل لم يشاهده الإنسان من قبل. فلم يحدث أبدا في تاريخ الشعب اليهودي، بعد أي تيه أو مغادرة للأرض المقدسة، أن أعيدوا إليها بعد أن تفرقوا في جميع أنحاء الأرض، كما حدث في الماضي القريب بعد إنشاء دولة إسرائيل. وعودة مرة أخرى إلى سورة التكوين التي ابتعدنا عنها هنيهة، ولنتناول الآن الآية التاسعة المذكورة فيما بعد، فإن هذه الآية الكريمة والآية التي تتلوها تتعلقان بنفس الزمن الذي تتحدث عنه جميع الآيات السابقة من زوايا مختلفة.

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٨١ التكوين: ٩-١٠)

كان بعض العرب في عصر الجاهلية يشعرون بالمهانة الشديدة إذا وُلدت لهم ابنة، حتى إنهم كانوا أحيانا يدفنونها حية لشدة خجلهم. ولم يكن للمجتمع الحق بتاتا في التدخل في هذه الأمور، وكأن الآباء كانوا يملكون أولادهم كما يملكون عقارا.

والآية تتحدث عن زمن يُطبق فيه القانون بصرامة، وخاصة فيما يتعلق بحقوق المرأة، وليس الأمر مجرد حديث عن تطبيق القانون، وإلا لذكرت جملة تعبر عن ذلك وحسب. وفي ضوء ذلك.. لا يستطيع المرء إغفال أهمية هذه الخصوصية، إذ لن يستطيع الرجال أن يعثوا بحقوق النساء، وهو الأمر الذي تؤكد عليه الآية الكريمة. ولم يحدث في أي عصر من العصور أن اكتسبت حقوق المرأة أهمية على نطاق عالمي كما يحدث الآن في هذا الزمن المعاصر.

إن آيات هذه السورة القرآنية تذكر السمات التي تتعلق بآخر الزمان بشكل متناغم، حتى إنها تنتقل من سمة إلى أخرى كما ينقل الفنان الفرشاة ليرسم بها صورة واقعية لما سوف يحدث في آخر الزمان. والتقدم العلمي الذي تتضمنه كل آية من هذه الآيات يتناسق أيضا مع الوجه السياسي والاجتماعي. وذكرت الآية رقم ٨ نبوءة عن ارتباط الناس بعضهم ببعض بأكثر من وسيلة. وتكرر ذكر نفس الموضوع أيضا في الآية رقم ١١ بعد ذكر التطور الاجتماعي والسياسي. وعولجت فكرة الارتباط بين الناس بذكر أكثر الوسائل وأشدّها فاعلية في ربط الناس بعضهم ببعض، وذلك من خلال النشر الواسع للصحف المطبوعة بما تحويه من كتب وصحف ومجلات وغيرها. إن جميع وسائل النقل المذكورة فيما سبق قد لعبت دورا هاما في توحيد البشر في العالم، ولكن الدور الذي لعبته المطبعة لا يمكن أن يُحجب أو يُستبدل بأية وسيلة أخرى من وسائل الربط بين الناس. فإذا حاولنا إلغاء أثر التوزيع الواسع للمواد المطبوعة من هذا الزمان، لشعر الناس فجأة بالانفصال بعضهم عن بعض، رغم تقلص المسافات بينهم، ولأحسوا بالانعزال والتفكك. إن هذه الوسيلة الحديثة من وسائل الإعلام والنشر الواسع للمطبوعات هو ما تذكره الآية محل البحث:

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (٨١ التكويز: ١١)

وتتضمن هذه النبوءة أيضا اختراع المطابع الحديثة، وإلا لما كان من الممكن للمخطوطات اليدوية أن تُنشر وتنتشر على نطاق واسع. إن عصرا تنتشر فيه الكتب والمطبوعات على نطاق واسع لهو أيضا العصر الذي تنتشر فيه العلوم والمعارف والبحوث والمعلومات. ويؤكد القرآن المجيد على دور القلم وأهميته تأكيدا شديدا، حتى إنه ينسب لله مباشرة أمر تعليم البشر كيفية الكتابة. ونستشهد على ذلك بالآيات التالية من سورة العلق، وهي الآيات الأولى التي أنزلت على الرسول ﷺ، وتقرر بكل يقين:

﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿١﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٢﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٩٦ العلق: ٤-٦)

وعندما نقرأ هذه الآيات الكريمة مقترنة بالآية التي تحت البحث، نستطيع أن ندرك مدى التأكيد على أن من خصائص ذلك الزمن أنه سيكون زمن المعارف الواسعة المتقدمة. ومن المتضمن أيضا في هذه الآيات انتشار دور العلم مثل المدارس والمعاهد والجامعات. فالآية الأولى في العبارة القرآنية المذكورة تؤكد على أن الله تعالى هو الأكرم، لأنه هو سبحانه الذي علم بالقلم. ومن الواضح أن المتضمن في الآية هو أن القلم سوف يكون مصدر العلوم والمعارف، وأن العلوم والمعارف سوف تكون مصدر العظمة والتقدم. وبالمناسبة.. على المرء ألا ينسى أن هذه الآيات قد نزلت على رجل لم يتعلم كيف يمسك بالقلم أو يخط شيئا بيمينه. لقد كان القلم الذي حرر القرآن هو قلم الله تبارك وتعالى ولم يكن قلم محمد ﷺ. كذلك تتضمن الآية أن المعرفة ستكون هي الوسيلة للحصول على القوة، وأن القلم سيكون أمضى من السيف. والآية التالية تزيد الموضوع شرحا وبيانا.. إذ تعلن أن السماء هي الحد الذي يحد سبل المعرفة، فتقول:



﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (٨١ التكوير: ١٢)

وتبرز هذه الآية المقارنة المساوية بين حالة الإسلام في ذلك الزمن وبين القوى المادية المسيحية حينما تتكور شمس الإسلام فتحتجب، وتنكدر نجوم الإسلام فتتطفئ وتفقد أنوارها. أما العالم المادي لغير المسلمين فسوف يبدأ في الارتقاء عبر السماوات ليتعلم أسرار الفضاء. ويستحضر هذا المشهد إلى الأذهان بعض الآيات القرآنية التي تذكر نبوءات عن السفر عبر الهواء والفضاء، ونجد فيما يلي الآيات المتعلقة بهذا الموضوع:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ (٥١ الذاريات: ٨)

أي أقسم بالسماء التي ملئت بالطرق والمسالك.

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ ﴿وَالنَّاشِرَاتِ

نَشْرًا﴾ ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾ (٧٧ المرسلات: ٢-٥)

أي أقسم بأولئك الذين أرسلوا لأداء مهام معينة معروفة، وأقسم بأولئك الذين يتحركون بسرعة كالرياح العاصف، وأقسم بأولئك الذين ينشرون المطبوعات والمنشورات على نطاق واسع، وأولئك الذين يُفرّقون ويُميزون بين الأولياء والأعداء.

إن هذه الآيات الكريمة والكثيرة الأخرى، ترسم لنا دائما وتكرارا صورة سماء تُستخدم على نطاق واسع في أغراض السفر خلال أجوائها وأقطارها. إذ إنها تحتوي على طرق ومسالك يروح ويغدو فيها المرسلون من مكان إلى آخر وهم يتحركون بسرعة كريح عاصف، وتُحمّل الكتب والمطبوعات وتُنشَر على نطاق واسع، وهكذا يصير من الممكن للإنسان أن ينتقل ويطير على أجنحة الهواء. وبعد أن يحقق الإنسان أمانيه وأحلامه

في الطيران، تراوده أحلام أخرى أعلى مكانا وأرحب نطاقا وأوسع مجالا. إذ إنه سوف يبدأ في التعرف على خبايا السماوات والأجرام السماوية، ويأخذ في كشط ورفع الحجب والأستار التي تغطي تلك الأجرام لكي يكشف عن أسرارها، وسوف يقيم في الفضاء محطات ومراكز للمراقبة لكي يتابع ما يحدث في السماوات من فوقه. وتبين الآية التالية بوضوح هذه المرحلة من التقدم العلمي والتقني للإنسان، مما سيمكنه بالفعل من محاولة التسمع على ما يجري في آفاق السماوات العُلى وجنات الكون. يقول تعالى:

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ (الصافات: ٩-١٠)

وفيما يتعلق بطموح الإنسان في غزو الفضاء إلى أقصى أغواره، يُوجه القرآن المجيد هذا التحدي إلى كل من يزعم غزو السماوات، سواء كان من علية القوم أو من أدناهم.

وقبل أن نذكر الآية التي نتحدث عنها.. نرى من الضرورة بمكان أن نوضح طبيعة أولئك الذين يُوجه القرآن إليهم هذا التحدي. فالكلمات: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ تحتاج إلى شيء من الإيضاح، إذ إن الجن المخاطب في الآية ليس هو تلك الأشباح الخيالية التي تختلف عن البشر. فكما ذكر فيما سبق.. كثيرا ما تستخدم كلمة 'الجن' للتعبير عن العظماء من الناس مقابل البشر العاديين الذين يُطلق عليهم لفظ 'الناس'. ولعله من الأوفق فهم هذه الآية على أنها تخاطب القوى الرأسمالية والقوى الشعبية. والآية التي نتحدث عنها هي قوله تعالى:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٤)

ونحن نرى.. بكل احترام.. أن المقصود من كلمة 'بسلطان' في هذا السياق هو "بمساعدة القياس الاستدلالي القوي". وهذا يعني أنه رغم عدم استطاعة الإنسان أن ينفذ إلى خارج حدود السماوات والأرض، إلا أنه سوف يتمكن من الوصول إلى حدود الكون، بالقدر الذي يسمح به نطاق علومه ومعارفه. وفيما يلي الأسباب التي تدفعنا لهذه الرؤية:

إن فهم كلمات الآية القرآنية بغير المعنى الذي ذكرناه قد يخلق انطبعا معاكسا لما يريد القرآن أن يبيّنه ويوضحه، ذلك الانطباع الذي قد يُفهم منه أن القرآن ينفي تماما إمكانية أن ينجح الإنسان في غزو الفضاء والوصول إلى حدود الكون الخارجية. إن كلمة 'سلطان' في حد ذاتها لا تعني السلطة والسطوة فحسب بل تعني كذلك المَلِك العظيم، كما تعني أيضا الحجّة البالغة والقياس الاستدلالي القوي. وعلى ذلك يمكن فهم الآية على أن الإنسان سوف يتمكن من الوصول إلى حدود الكون من خلال القياس الاستدلالي القوي.

إن ما ينكره القرآن ليس مجرد قفزة أو قفرتين في الفضاء، بل ما يُنكره القرآن هو قدرة الإنسان على أن ينفذ من حدود الكون بجسده المادي. وبالمناسبة.. إن الأخطار التي تتعرض لها رحلات الفضاء قد ذُكرت أيضا في الآية التالية:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾

(٥٥ الرحمن: ٣٦)

والآية لا تتحدث عن شعلات النيران العادية، وإنما ترسم لنا صورة واضحة للتأثير المدمر للأشعة الكونية.

وبعد هذا الاستطراد في الحديث عن المعاني المتضمنة في الآية رقم ١٢ من سورة التكوير، في ضوء الآيات المذكورة عاليه من سورة الرحمن (رقم

(٥٥)، نعود مرة أخرى لمتابعة الحديث عن آيات سورة التكوير.

وإنها لمصادفة غريبة أن ننتهي من الحديث عن آيات سورة الرحمن بذكر التحذير من العقاب بشواظ النار المستعر، فإن هذا هو بالضبط الموضوع الذي تبخته الآية رقم ١٣ من سورة التكوير التي نريد أن نتناولها الآن:

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (٨١ التكوير: ١٣)

وينطبق لفظ 'الجحيم' هنا على الحروب التي سوف تشتعل في ذلك الزمن، الأمر الذي يجعلها تخلق انطبعا في نفوس الناس بأنها جحيم وقد تسعرت، وعليه.. فإن الآية توجه إنذارا. وهذا هو التفسير المعقول الوحيد في سياق النبوءات السابقة التي تتحدث جميعها وبغير استثناء عن أحداث هذا العالم المعاصر. وإنه لمن شواذ الأمور حقا أن يُقال للإنسان إنه بينما تجري بعض الأمور هنا على هذه الأرض، فإن جحيم الآخرة سوف تُسعر في مكان ما لا علاقة له بهذا العالم المادي الذي نعيش فيه.

وهكذا يصل مسلسل الأحداث إلى نهايته المنطقية. فالتقدم المادي.. مهما بلغ من عظمة ورفعة.. لا نفع منه للإنسان إذا ما حقق طموحاته المادية على حساب رضا الله تبارك وتعالى. فلا بد لساعة العقاب أن تأتي وتحسف بالإنسان بالرغم من كل ما وصل إليه وما حققه من قوة مادية. ولكن الكارثة لن تأخذه من السماء، وإنما هو الذي سوف يؤجج جحيمه بيديه، وسوف يخلق بأنانيته توترا شديدا على نطاق عالمي يبلغ أوجهه باندلاع حروب مستعرة تتأجج فيها نيران الجحيم. وعندما ننظر فيما مضى من تاريخ الحربين العالميتين، فلن يظل هذا التفسير مجرد اجتهاد نظري، وإنما يكتسب أهمية تحمل في طياتها نذيرا خطيرا. وهذا التفسير يفتح أيضا باب الأمل في إزالة التباين بين الاضمحلال المأساوي للإسلام وظهور القوى غير الإسلامية. فإن الآية تحت البحث تبين بوضوح أن

التسلط والسيطرة المادية على العالم لن تستمر على الدوام، وإنما يبدأ سقوط القوى المادية بتنامي العداء المتبادل بين هذه القوى، إلى أن يصل هذا العداء إلى قمته بوقوع كوارث فظيعة مرعبة من صنع أيديهم. إذ ستتابع الحروب الواحدة تلو الأخرى، فتندلع الحرب ثم تخمد مخلفة وراءها رماد القوى الكبرى، التي تكون قد أحرقت نفسها بنفسها. إن الحريين العالميتين الماضيتين قد تركتا بالفعل أثراً منهكاً على القوى العظمى التي لم يستطع أحد أن يتحداها، بينما برزت إلى حد ما الأمم الضعيفة والشعوب الفقيرة، وهي تشعر بأنها قد استعادت شيئاً من كرامتها المفقودة. ولا يزال ميزان الأمور أبعد من أن يكون قد مال إلى الجانب الآخر ولم يصل بعد إلى النقطة الحاسمة. غير أن الزمن يتحرك.. ولو ببطء شديد.. ولكنه يقينا يتحرك نحو ثورة عالمية. إنها تلك الثورة العالمية التي تنبأ بها القرآن العظيم لتكون هي الثورة النهائية للإسلام. وحتى لا يؤخذ هذا الكلام على أنه مبالغة تعميمية، أو يُظن أنه مجرد كلام يُلقى على عواهنه، فإننا سوف نذكر في الفصل التالي بعض الأدلة القاطعة التي تزيل مثل هذه الظنون.

وبناء على ما تحمله الكثير من الآيات القرآنية من أنباء وأخبار، فقد ذكر الرسول ﷺ بوضوح.. الكثير من الأنباء عن المحصلة النهائية للصراع العالمي في آخر الزمان. وقد بين ذلك فيما يتعلق بما ذكره عن خروج المسيح الدجال. ولكن لا بد من الإيضاح بادئ ذي بدء أن صورة المسيح الدجال ليست هي تلك الصورة الممسوخة التي قد تبدو من المطالعة السطحية. وتشير الأحاديث الشريفة إلى أن هذا المسيح الدجال قد جمع في نفسه قوة وقدرة الأمم العظمى. وفي الواقع.. إن هذه المرحلة بأكملها من آخر الزمان كما وصفها رسول الله ﷺ هي زمن المسيح الدجال، وكل علامات آخر الزمان تتعلق به. ومن العلامات التي تساعد على الكشف عن هويته مجموعة من العلامات تتعلق على وجه الخصوص بوسائل المواصلات الحديثة، التي لم يكن الإنسان يعلم عنها شيئاً من قبل.

إن بيانا مفصلا عما يكون هذا المسيح الدجال، وعن كيفية تسلطه على العالم بأكمله، لن يترك ذرة من شك في ذهن القارئ غير المتعصب، أن النبوءات التي تتحدث عنه لا تتحدث عن شخص منفرد. فإن تعبير 'المسيح الدجال' الذي استعمله الرسول ﷺ ليس إلا تعبيراً رمزياً، وهو يرمز إلى القوى العظمى في هذا العصر، وأن استغلال العالم من قبل ذلك الدجال وتسخيره لسطوته.. إنما هو في الحقيقة تسلط القوى المسيحية العظمى على مقدرات العالم. غير أن هذه السطوة لن تستمر، ولن يدوم التسلط إلى الأبد، فإن نهاية المسيح الدجال الذي يرمز إلى تلك القوى قد جاء ذكرها أيضاً بشكل قاطع. ومن بين حطام المادية.. سوف تشرق مرة أخرى شمس الإسلام، وتكشف الحجاب عن جمالها الوضاء، وتزيل أستار الشك والريبة التي غلفتها خلال عدة من القرون الحزينة.

**ونتناول الآن..** مرة أخرى.. الأسلوب الجديد الذي آلت إليه وسائل المواصلات في ثورتها الحديثة، ولكننا في هذه المرة نستنير بضوء الأحاديث النبوية الشريفة. وأما فيما يتعلق بالعلامات الأخرى للمسيح الدجال، وخاصة تلك العلامات التي لها مدلولات دينية، فسوف نبحثها بتفصيل أكبر في فصل آخر إن شاء الله.

إن جميع أزمات السفر والانتقال.. في البر والبحر والجو.. قد جاء وصفها بشكل يؤيد تماماً ما ذهبنا إليه في تفسير الكثير من الآيات التي قدمناها فيما سبق. حتى إن موضوع انتقال الجبال وتسييرها قد جاء ذكره بشكل يعيد إلى الذهن تفسير الآيات المتعلقة بهذا الموضوع. والوصف المفصل الذي ذكره الرسول ﷺ للمسيح الدجال، ولحماره الفريد العجيب الذي يمتطيه، لا بد أن يكون قد أثار عجباً شديداً بين الناس في زمنه. ولا بد أنه كان يبدو شديداً الغرابة، وذلك رغم أنه ﷺ كان دائماً ما يطلق على تلك المطية لفظ 'الحمار'. فليس هناك من صفة ولا سمة من سمات الحمار المعروف تنطبق على ذلك المخلوق الغريب. ومع ذلك.. فإن جميع ما

تتصف به وسائل المواصلات الحديثة.. ينطبق تماما على حمار الدجال.  
إن العامل المشترك بين جميع وسائل المواصلات الحديثة هو أن القوة  
الدافعة لها تأتي عن طريق آلات تعمل بواسطة الاحتراق الداخلي وتستمد  
طاقتها من النار. وحتى الآلات القديمة التي كانت في القطارات العتيقة التي  
يحركها البخار كانت تعمل بواسطة الاحتراق الخارجي وتعتمد أيضا على  
النار. وهذا هو الخط الفاصل بين وسائل الانتقال القديمة التي كانت تعتمد  
على الحيوان، ووسائل الانتقال الحديثة في زمن المسيح الدجال، وهذا الخط  
هو الذي يكشف عن أن هذا الحمار المذكور في النبوءات ليس حيوانا وإنما  
هو من جماد. ونحن نستعمل في حقه الضمير 'هو' لأن ذكره جاء حرفيا في  
الأحاديث الشريفة على أنه حمار. وفي الحقيقة أنه سوف يمكن التعرف عليه  
من خلال هذه الخاصية المميزة وحدها. وليتأمل القارئ حمار المسيح  
الدجال ليدرك أنه بالفعل يعني وسائل الانتقال الحديثة. وقد يختار القارئ  
ألا يعتبر هذه الوسائل الحديثة هي حمار الدجال، ولكن عليه في هذه الحالة  
أن يعود القهقري إلى الوراء.. إلى عصر الحمير.

هناك الكثير من الأوصاف الغريبة والعجيبة لهذا الحمار الرمزي.. جاء  
ذكرها في العديد من كتب الحديث، وفيما يلي تقديم مجمل لما جاء فيها  
من معلومات:

- (١) إن المسيح الدجال سيكون.. كما هو الحال مع حماره.. عملاقا ذا  
حجم شديد الضخامة بشكل لم يُسمع عنه حتى في أعرب  
الأقاصيص خيالا، فهو سيكون من الطول بمكان حتى إن رأسه تبدو  
وقد اختفت فيما وراء السحاب. وسيكون شديد القوة حتى إنه  
سيتمكن وحده من التغلب على العالم بأجمعه.<sup>١٢</sup>
- (٢) بالرغم من كل هذه القوى المادية فإنه سوف يعاني من عيب واحد،  
وهو أنه سيكون مصابا بالعمى في إحدى عينيه، وهي العين اليمنى.<sup>١٣</sup>
- (٣) لن يكون الحمار هو الركوبة الخاصة لاستعمال المسيح الدجال

- وحده، بل سيكون استعماله متاحا لعامة الناس كوسيلة عامة للمواصلات. وسيصعد الناس إلى بطنه ويدخلون من فتحات في جوانبه جعلت خصيصا لهذا الغرض.<sup>١٤</sup>
- (٤) إن بطن الحمار مضاعة إضاءة جيدة من الداخل، وستكون مزودة أيضا بمقاعد مريحة.<sup>١٤</sup>
- (٥) إن الحمار سوف يتحرك بسرعة عالية وفائقة بشكل خاص، حتى إنه يستطيع أن يقطع مسافات شاسعة في يوم واحد أو في ساعات قليلة، بينما تستغرق المطايا الحيوانية في قطعها عدة شهور.<sup>١٥</sup>
- (٦) عندما يتحرك هذا الحمار في رحلة ستكون له وقفات أو محطات يقف فيها، وعند كل محطة سيُدعى الناس لأن يأتوا ويجلسوا في أماكنهم قبل أن يستأنف رحلته، ثم يتم الإعلان عن مغادرته بصوت عالٍ. وعلى ذلك.. فإن هذا الحمار المجازي سوف يظل على الدوام ينتقل من مكان إلى آخر، مُزوِّداً الناس بوسيلة سريعة، ومناسبة، ومريحة.. للانتقال.<sup>١٦</sup>
- (٧) إن المسافرين الذين يركبون في بطن هذا الحمار لن يتعرضوا بحال من الأحوال للاحتراق بالنار التي يأكلها الحمار، مما يشير إلى أن الركاب سوف يجلسون في مقصورة منعزلة تماما عن الغرفة التي تحترق فيها النار.<sup>١٦</sup>
- (٨) سوف يمكن أيضا لهذا الحمار أن يبحر عبر البحار، وينتقل من قارة إلى قارة، راكبا أمواج البحر.<sup>١٧</sup>
- (٩) خلال الرحلات البحرية لهذا الحمار.. سوف يزداد ويتضخم حجمه بوجه ما، وبذلك يستطيع أن ينقل جبالا من الخبز والطعام على ظهره عبر البحار. وسوف يُستخدم هذا الحمار كثيرا في نقل هذه الكميات الضخمة من التموين إلى الأمم الفقيرة التي تخضع بخسة لمشية المسيح الدجال. ونقل الجبال من الخبز والطعام هو تعبير



مجازي يذكرنا بالآية التي تنبئ عن الزمن الذي تنتقل وتسير فيه  
الجبال.<sup>١٨</sup>

(١٠) هذا الحمار الغريب المذهل سوف يعرف كيف يطير أيضا، لأن  
بعض قفزاته الجبارة توصف بأنها تغطي مسافات بين الشرق  
والغرب. فمن المذكور في الأحاديث أن أحد حوافر هذا الحمار  
ستكون في الشرق والأخرى في الغرب، الأمر الذي يشير إلى  
ضخامة حجم قفزته، مما يعني أنه سوف يُقلع من قارة ويهبط في  
أخرى.<sup>١٩</sup>

(١١) حينما يطير هذا الحمار فإنه سوف يرتفع فوق السحاب.<sup>٢٠</sup>  
(١٢) سوف يحمل القمر على جبهته. ومن الواضح أن القمر يشير إلى  
وجود الأنوار الأمامية التي تُستعمل ليلا للإضاءة في وسائل  
المواصلات الحديثة.<sup>٢١</sup>

وبعد قراءة هذا الوصف الجلي لحمار الدجال، فإننا لنعجب حقاً ما  
إذا كان القارئ لا يزال في حاجة إلى شرح تفصيلي لمعرفة حقيقة هذا  
الحمار الذي يستخدمه المسيح الدجال في غزو العالم.  
ومن الواضح أن القوى المسيحية العظمى في العالم هي المقصودة  
باستخدام لفظ 'الدجال'،<sup>٢١</sup> حيث كان من المقدر لها أن تحكم العالم كله  
يوماً ما. والحمار الذي يأكل الماء والنار، والذي وُصف بأنه يقوم  
بالأعمال التي تؤديها في عصرنا هذا الطائرات والسفن والقطارات التي  
تتحرك بسرعة هائلة، سوف يقوم بالدور الحاسم في غزو العالم بواسطة  
القوى المسيحية. وعدا التأكيد على أهمية السرعة العالية في الانتقال، فإن  
أهمية القدرة على حمل الأوزان الثقيلة والحمولات الضخمة قد ذكرها  
القرآن المجيد بالذات في معرض الحديث عن الصراع العالمي من أجل  
التفوق والتسلط. يقول تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٧﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٨﴾﴾

فكلما ثقلت موازين حمولات ما يملكونه، وكلما ازدادت سرعة انتقالهم، كلما زادت فرصة هذه القوى العالمية في التفوق والهيمنة. فإن حجم الشيء وسرعته هما العامل الحاسم في طريق الانتصار.

إن هذه النبوءات فريدة في ذاتها، حتى إنه يصعب حقا أن نجد ما يساويها أو يماثلها في أي مكان أو مجال آخر. وقد جاء الوصف فيها حيا ودقيقا للغاية، حتى إنه ليعطي الانطباع بأن الرسول ﷺ كان يصوغ في كلمات تصويرية ما كان يراه يتحقق أمام عينيه من ظهر الغيب، تماما كما يلتقط الفنان بريشته روعة وجمال المنظر الذي يراه أمامه.

وبهذا نأتي إلى نهاية هذا المبحث عن هذه المجموعة من النبوءات التي تحتويها سورة التكوين. وسوف نتناول في الفصل التالي بعض النبوءات الأخرى التي تعتبر على جانب كبير من الأهمية، والتي تذكر بعض السمات الأخرى لنفس الزمن. وتتناول كل منها موضوعات معينة ومتباينة، وقد احتوتها بدقة وبراعة العديد من السور القرآنية.

## المراجع

1. *The Holy Bible* (1982) The New King James Version. Thomas Nelson Publishers, Nashville, Exodus 14:28-29
2. *Fat-hul-Bārī – The Commentary of Sahih Al-Bukhārī* by Hfiz Ahmad bin ‘Ali Hajar Al-‘Asqalāni (773-852). Kitāb Al-Magāhzi Babo Ghazwah Al-Khandaq Al-A zāb. Vol. VII p.397.
3. *Mishkāt-ul-Masābih*. Vol.I, Chapter III. Kitāb Al-Manāqib. Babo Manāqib Al-Sahabah. Publisher: Al-Maktab Al-Islāmi, Beirut.
4. *Chronicle of the World*. (1989) Chronicle Communications Ltd and Longman Group UK Ltd., London, p.436
5. LANE-POOLE, S. (1888) *The Moors in Spain*. 8<sup>th</sup> ed., T. Fisher Unwin, London, p.270
6. LANE-POOLE, S. (1888) *The Moors in Spain*. 8<sup>th</sup> ed., T. Fisher Unwin, London, pp.270-271
7. LANE-POOLE, S. (1888) *The Moors in Spain*. 8<sup>th</sup> ed., T. Fisher Unwin, London, p.271
8. LANE-POOLE, S. (1888) *The Moors in Spain*. 8<sup>th</sup> ed., T. Fisher Unwin, London, p.273

9. LANE-POOLE, S. (1888) *The Moors in Spain*. 8<sup>th</sup> ed., T. Fisher Unwin, London, p.278
10. LANE-POOLE, S. (1888) *The Moors in Spain*. 8<sup>th</sup> ed., T. Fisher Unwin, London, p.279
11. LANE-POOLE, S. (1888) *The Moors in Spain*. 8<sup>th</sup> ed., T. Fisher Unwin, London, p.280
12. 'ALLAMAH 'ALA-UD-DIN 'ALI AL-MUTTAQI. *Kanz-ul-'ummāl* vol:14 p.604 & 613 (1979), Beirut.
13. IMAM MUSLIM BIN AL-HAJJĀJ BIN MUSLIM AL-QUSHAIRĪ AL-NAISAPŪRĪ. *Sahih Muslim*, Kitabul-Fitan, Babo Zikrid-Dajjāl wa Sifātehī Wa ma ma'ahū.
14. 'ALLAMAH MUHAMMAD BĀQIR AL-MAJLISĪ. *Bihārul-Anwār* 'Alāmāte Zohurihī Alaihis-salām min Al-sufyāni wad-Dajjāl.
15. 'ABDUR-REHMĀN AL-SAFŪRĪ. *Nuzhat-ul-Majālis*, vol:1 p.109. Maymaniyyah Press, Egypt.
16. 'ALLAMAH MUHAMMAD BĀQIR AL-MAJLISĪ. *Bihārul-Anwār* 'Alāmāte Zohurihī Alaihis-salām min Al-sufyāni wad-Dajjāl.
17. 'ABDUR-REHMĀN AL-SAFŪRĪ. *Nuzhat-ul-Majālis*, vol:1 p.109. Maymaniyyah Press, Egypt.
18. *Sahīh-Al-Bukhārī*. Kitāb-ul-Fitan, Babo Zikrid-Dajjāl
19. 'ABDUR-REHMĀN AL-SAFŪRĪ. *Nuzhat-ul-Majālis*, vol:1 p.109. Maymaniyyah Press, Egypt.
20. 'ALLAMAH MUHAMMAD BĀQIR AL-MAJLISĪ. *Bihārul-Anwār* 'Alāmāte Zohurihī Alaihis-salām min Al-sufyāni wad-Dajjāl.
21. IMAM MUSLIM BIN AL-HAJJĀJ BIN MUSLIM AL-QUSHAIRĪ AL-NAISAPŪRĪ. *Sahih Muslim*, Kitabul-Fitan, Babo Zikrid-Dajjāl wa Sifātehī Wa ma ma'ahū.

